
رسالة
استحسان الخوض
في علم الكلام

ملتزم الطبع

دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ ١٩٩٥م



بيروت - لبنان ص.ب ٥٢٨٣ - تلفون ٢١٢٧٨٣ - ٦٣١٥٠١ - ٦٣١٥٠

رسالة

استحسان الخوض في علم الكلام

تأليف

شيخ الإسلام والمسلمين وناصر سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري الشافعي رضي الله عنه

(٢٦٠ - ٣٢٤ هـ)

راجعه وقدمه

محمد الولي الأشعري القادري الرفاعي

دار المشاريع
للطباعة والنشر والتوزيع



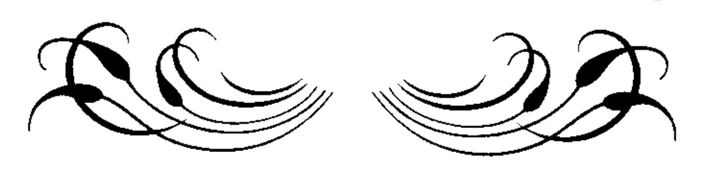
مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم وبعد . فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **من لم يشكر الناس لم يشكر الله** " رواه أحمد والترمذي، وقد رأيت أن من شكر الله تعالى السعي في نشر هذه الرسالة التي ألفها شيخ الإسلام والمسلمين وناصر سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ألا وهو إمام أهل السنة والجماعة المجدد على رأس القرن الثالث أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله تعالى عنه وعنا به ءامين، وقد ولد سيدنا أبو الحسن كما هو ءات في ترجمته رضي الله عنه في سنة مائتين وستين أي أنه أدرك من زمن السلف الصالح أربعين سنة ولا شك ان الإمام أبا الحسن الأشعري إنما كان مقرِّراً لعقائد أهل السنة بالأدلة النقلية والعقلية، وقد ألف أبو الحسن الأشعري التآليف النافعة في نصرة مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة ومنها هذه الرسالة النفيسة التي كسر فيها سيدُنا أبو الحسن الأشعري شُبَه الكفار ممن أنكر وجود الله أو أنكر حدوث العالم أو أنكر جواز البعث، وكذا كسر شبه المبتدعة معتزليّهم وخارجيّهم ومشبّههم لله

تعالى بخلقه، فلذلك وضعنا ترجمة موجزة للإمام أبي الحسن الأشعري الذي لا تفي بفضله المجلدات فضلاً عن الأوراق والسطور، ومما يزيد هذه الرسالة قيمة ونفاسة وعلواً كونها قد قرئت وصححت على شيخ الإسلام والمسلمين شافعي عصره وأشعري أوانه ورفاعي زمانه مجدد القرن الرابع عشر حيث انتشر علمه شرقاً وغرباً فكسر الله تعالى به وبأتباعه صغيرهم وكبيرهم شبه المبتدعة أعني شيخنا وقدوتنا وسيدنا وسندنا المحدث الحافظ العلم النحرير المحقق المدقق اللغوي النحوي المتكلم المفسر النظار الأصولي الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي رضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركة أنفاسه الطاهرة، والحقيقة أقول : إن شيخنا عبد الله الهرري لا تفي بفضله ومناقبه أسطر ويكفي في بيان فضله أنه على قدم أبي العلمين الإمام أحمد الرفاعي الكبير رضي الله تعالى عنه وأرضاه وقد قال رضي الله تعالى عنه: سلكت كل الطرق الموصلة فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الافتقار والذل والانكسار، فقيل له : يا سيدي فكيف يكون ؟ قال: تعظم أمر الله وتشفق على خلق الله وتقتدي بسنة سيدك رسول الله، ذكره ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية في ترجمة الإمام أحمد الرفاعي . وهذه الفائدة ذكرناها ليعلم قدر سيدنا أحمد الرفاعي والذين اقتفوا ءاثاره بصدق ولا شك أن سيدنا الشيخ عبد الله الهرري من أعيان خلفائه ذبّ عن دين الله ونصرشريعة الله وهو يحب الانكساروالخمول ولا يهتم بانتشار ذكره بين الناس، إنما جل همه في تعليم الضروريات في

الاعتقاد والفروع ومكافحة الكفر والبدعة كالمعتزلة مجوس هذه الأمة، والخوارج الذين قرنهم البخاري في كتاب الفتن من صحيحه بالمرتدين، والمشبهة الذين اتخذوا اليهود سلفاً فوصفوا الله بالجلوس اقتداء باليهود الذين وصفوا الله تعالى بالاستلقاء فرد الله قولهم في كتابه بقوله ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرضَ في ستة ايام وما مسّنا من لُغوب** ﴾.

وكذلك فإن شيخنا الهرري يتصل طريقةً بالغوث الجليل، الباز الأشهب سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، فقد أخذ الخلافة في هذه الطريقة العلية من سيدي الشيخ أحمد البدوي السوداني القادري الذي هو من أكابر خلفاء المرشد الكبير، والمربي المشهور صاحب الاسرار والكرامات الشيخ أحمد عبد الباقي المكاشفي رضي الله عنه الذي هو من أهل السودان وأكبر مشايخ الطريقة القادرية في عصره، وشيخنا الهرري رضي الله عنه مجاز أيضاً من الشيخ ولي الله الطيب الدمشقي، ومن الشيخ العالم أحمد العربيني(العربيلي) ثم الدمشقي الذي تخرج على المحدث المشهور الشيخ بدر الدين الحسني المغربي الأصل ثم الدمشقي، نفعنا الله بأوليائه الصالحين .



ترجمة المؤلف

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بُردَةَ عامر ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى الأشعري.

ولد رحمه الله سنة ستين ومائتين بالبصرة، وقيل: بل ولد سنة سبعين ومائتين. وفي تاريخ وفاته اختلاف منها أنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وقيل سنة أربع وعشرين، وقيل سنة ثلاثين، توفي رحمه الله ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة رحمه الله تعالى.

كان أبو الحسن الأشعري سنّياً من بيت سنّة ثم درس الاعتزال على أبي علي الجُبَّائي وتبعه في الاعتزال حتى صار لهم إماماً، ثم تاب ورَقِيَ كرسياً في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فإني أعرّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرءان وأن الله لا تراه الأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم.

قال الفقيه أبو بكر الصَّيرَفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى نشأ الأشعري فحجزهم في أقماع السَّماسم .

قال السبكي في طبقاته: واعلم أن أبا الحسن الأشعري لم يبدع رأياً

ولم يُنْشِ مذهباً وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عَقَدَ على طريق السلف نطاقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه فصارالمقتدي به في ذلك السالك سبيلَه في الدلائل يسمى أشعرياً اهـ.

ثم قال في موضع ءاخر: قال المآيرقي المالكي: ولم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة إنما جرى على سنَن غيره وعلى نصرة مذهب معروف فزاد المذهب حجة وبياناً، ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهباً انفرد به، ألا نرى أن مذهب أهل المدينة نسب إلى مالك ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له مالكي، ومالك إنما جرى على سنَن من كان قبله، وكان كثير الاتباع لهم إلا أنه لما زاد المذهب بياناً وبسطاً عزي إليه، كذلك أبو الحسن الأشعري لا فرق، ليس له في مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وما أَلَّفَهُ في نصرته اهـ.

وقد استفاد من الأشعري خلق كثير من أكابر العلماء وفحول الأئمة فتأدبوا بآدابه وسلكوا مسلكه في الأصول واتبعوا طريقته في الذب عن الدين ونصرة أهل السنة، إذ كان فضل المقتدي يدل على فضل المقتدَى به، وهم من أعيان الأئمة ومشاهير القوم وقد ذكرهم مؤرخ الشام وحافظها أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر في كتابه الذي ألفه في الدفاع عن الشيخ أبي الحسن الأشعري مع ذكر مناقبه ومؤلفاته وثناء

الأئمة عليه، وقد أفرد قاضي القضاة الشيخ تاج الدين ابن الامام قاضي القضاة تقي الدين السبكي فصلاً خاصاً بذكر أكابر المنتسبين إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري وذلك أثناء ترجمته في كتابه طبقات الشافعية.وقد افتتح ترجمته بقوله: شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ أبو الحسن الاشعري البصري شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين والساعي في حفظ عقائد المسلمين سعياً يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، إمام حبر وتقي بر حمى جناب الشرع من الحديث المفترى وقام في نصرة ملة الإسلام فنصرها نصراً مؤزراً وما برح يدلج ويسير وينهض بساعد التشمير حتى نقّى الصدور من الشُّبه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ووقى بأنوار اليقين من الوقوع في ورطات ما التبس فلم يترك مقالاً لقائل وأزاح الأباطيل والحقُّ يدفع تُرَّهاتِ الباطل.

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: "كنت في جنب الشيخ أبي الحسن الباهلي كقطرة في جنب بحر، وسمعت الباهلي يقول: كنت في جنب الأشعري كقطرة في جنب البحر"، وقال لسان الأمة القاضي أبو بكر الباقلاني: "أفضل أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن".

وقال كذلك أي التاج السبكي في طبقاته أثناء ترجمة الاشعري ما نصه: "ذكر بيان أن طريقة الشيخ – يعني الأشعري – هي التي عليها

المعتبرون من علماء الاسلام والمتمّيزون من المذاهب الأربعة في معرفة الحلال والحرام والقائمون بنصرة دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام :

قدمنا في تضاعيف الكلام ما يدل على ذلك، وحكينا لك مقالة الشيخ ابن عبد السلام (١) ومن سبقه إلى مثلها، وتلاه على قولها حيث ذكروا أن المالكية والشافعية والحنفية وفضلاء الحنابلة أشعريون هذه عبارة ابن عبد السلام شيخ الشافعية، وابن الحاجب شيخ المالكية، والحصيري شيخ الحنفية، ومن كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة الثقة الثبت : هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعري ومنتسب له وراض بحميد سعيه في دين الله، مثنٍ بكثرة العلم عليه غير شرذمة قليلة تضمر التشبيه، وتعادي كل موحد يعتقد التنزيه، أو تضاهي قول المعتزلة في ذمه، وتباهي بإظهار جهلها بقدر سعة علمه .

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله: " اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث ومذهبه مذهب أصحاب الحديث تكلم في أصول الدين على طريقة أهل السنة ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدع وكان على

---

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ج ٣ ص ٢٦٥ طبع دار احياء الكتب العربية - القاهرة .

المعتزلة والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملـة سيفاً مسلولاً، ومـن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السـنة " اهـ.

وترجمه الحافظ أبو بكر البغدادي في تاريخ بغداد بقولـه: "أبـو الحسـن الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغـيرهم من المعتزلة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة" اهـ.

ووصفه المؤرخ ابن العماد الحنبلي بالإمام العلامة البحر الفهامة المتكلم صاحب المصنفات، ثم قال: ومما بيَّض به وجوه أهل السنة النبوية وسوَّد به رايات أهل الاعتزال والجهمية فأبان به وجه الحق الأبلـج، ولصـدور أهـل الإيمان والعِرفان أثلج ، مناظرته مع شيخه الجبائي التي قصم فيها ظهـر كـل مبتدع مرائي"اهـ.

وأورده شمس الديـن بـن خلكـان في الأعيـان ووصفـه بقولـه: " صـاحب الأصـول، والقـائم بنصـرة مذهـب أهـل السنة، وإليـه تنسـب الطائفة الأشعرية، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه" اهـ.

وأجاب قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغـاني الحنفـي علـى سـؤال ورده ببغداد ونصه: "ما قول السادة الأئمة الأجلة في قوم اجتمعوا على لعن فرقة الأشعري وتكفيرهم، مـا الـذي يجب عليهـم؟، فأجـاب بقولـه: "قـد ابتدع وارتكب ما لا يجوز، وعلى الناظر في الأمور أعز الله أنصاره الإنكار

عليه وتأديبه بما يرتدع به هو وأمثاله عن ارتكاب مثله" .

وبعده كتب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعليقاً على الجواب المذكور: "الأشعرية أعيان أهل السنة وأنصار الشريعة انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية وغيرهم فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة، وإذا رفع أمر من يفعل ذلك الى الناظر في أمر المسلمين وجب عليه تأديبه بما يرتدع به كل أحد".

ووقّع على هذا الجواب أيضاً بالموافقة الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي تلميذ الشيخ أبي اسحاق (٢).

ويكفي في بيان فضل أبي الحسن الأشعري ثناء الحافظ البيهقي عليه وهو محدث زمانه وشيخ أهل السنة في وقته فقال كلاماً أورده بطوله التاج السبكي فيه ذكر شرف ءاباء وأجداد أبي الحسن وحسن اعتقاده وفضله وكثرة أصحابه مع ذكر نسبه ثم قال البيهقي رحمه الله: إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري فلم يحدث في دين الله حَدَثاً ولم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين" اهـ.

وقد صنف الشيخ العلامة ضياء الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن

---

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ج ٣ ص ٣٧٥ و ٣٦٧ .

عمر بن يوسف بن عمر القرطبي رسالة سماها "زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري" رد فيها على بعض المبتدعة الذين هجوا الإمام الأشعري ولما وقف عليها الشيخ تقي الدين ابن دقيقِ العيد قرَّظها.

أما مؤلفات الشيخ الأشعري رحمه الله فكثيرة قيل إنها بلغت ما يقارب الخمسين مصنفاً وقيل أكثر من ذلك نذكر بعضاً منها:

١- إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان.

٢- تفسير القرءان، وهو كتاب حافل جامع.

٣- الرد على ابن الراوندي في الصفات والقرءان.

٤- العجز عن الشيء غير العجز عن ضده.

٥- الفصول في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة.

٦- القامع لكتاب الخالدي في الارادة.

٧- كتاب الاجتهاد في الأحكام.

٨- كتاب الأخبار وتصحيحها.

٩- كتاب الإدراك في فنون من لطيف الكلام.

١٠- كتاب الإمامة.

١١- التبيين عن أصول الدين.

١٢- الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل.

١٣- العمد في الرؤية.

١٤- كتاب الموجز.

١٥- كتاب خلق الأعمال .

١٦- كتاب الصفات، وهو كبير تكلم فيه على أصناف المعتزلة والجهمية.

١٧- كتاب الرد على المجسمة.

١٨- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع.

١٩- النقض على الجُبَّائي.

٢٠- النقض على البلخي.

٢١- جمل مقالات الملحدين.

٢٢- كتاب في الصفات وهو أكبر كتبه نقض فيه ما كان ألفه قديماً فيها على تصحيح مذهب المعتزلة لم يؤلف لهم كتاب مثله، ثم أبان الله له الحق فرجع.

٢٣- أدب الجدل.

٢٤- الفنون في الرد على الملحدين.

٢٥- النوادر في دقائق الكلام.

٢٦- جواز رؤية الله تعالى بالأبصار.

٢٧- كتاب الإبانة . وأما ما تزعم المجسمة من أن الإمام الأشعري قرَّر في كتابه الإبانة ما يوافق التجسيم وأن الله حال في السماء فهو مدفوع بأن النسخ التي يعتمدون عليها في نسبة ذلك إليه مدسوسة عليه ولا

يستطيعون أن يظهروا نسخة موثوقاً بها إنما هذه النسخة عمل بعض المجسمة، فهل يعقل أن تكون مثل هذه العبارة من كلام أبي الحسن الأشعري وهي : اتفق المسلمون في دعائهم على قول يا ساكن السماء، فهذه فرية ظاهرة يكفي لكونها كذباً وافتراء عليه أن هذا لا يعرف عن أحد من الأشاعرة خواصهم وعوامهم بل ولا عن أحد ممن سبق أبا الحسن الأشعري ولا من لحقه من أهل الإسلام في الزمن الماضي والحاضر.

وقد ساق ابن عساكر عدداً وافراً من مؤلفاته لم نذكرها في هذه المقدمة خشية الإطالة فمن شاء فليراجع، وكذا أورد الكثير منها إسماعيل باشا في كتابه هدية العارفين.

وعلى مذهبه في الاعتقاد علماء مئات الملايين من المسلمين في الشرق والغرب تدريساً وتعليماً ويشهد بذلك الواقع المشاهَد ، ويكفي لبيان حقية مذهبه في الاعتقاد كون هؤلاء الحفاظ الذين هم رءوس أهل الحديث الحافظ أبو بكر الاسماعيلي صاحب المستخرج على البخاري ثم الحافظ العَلَمُ المشهور أبو بكر البيهقي، ثم الحافظ الذي وُصف بأنه أفضل المحدثين بالشام في زمانه ابن عساكر اشاعرة، كان كل واحد من هؤلاء عَلَماً في الحديث في زمانه ثم جاء من هو على هذا المنوال الحافظ الموصوف بأنه أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المَكْنِيُّ بأبي الفضل ، فمن حَقَقَّ عرف أن الأشاعرة هم فرسان ميادين العلم

والحديث وفرسان ميادين الجهاد والسنان ، ويكفي أن منهم أبو الحسن الباهلي وأبو إسحاق الإسفرايني والحافظ أبو نعيم الأصبهاني والقاضي عبد الوهاب المالكي والشيخ أبو محمد الجويني وابنه أبو المعالي إمام الحرمين وأبو منصور التميمي البغدادي والحافظ الاسماعيلي والحافظ البيهقي والحافظ الدارقطني والحافظ الخطيب البغدادي والأستاذ أبو القاسم القشيري وابنه أبو نصر والشيخ أبو إسحاق الشيرازي ونصر المقدسي والغزالي والفراوي وأبو الوفاء بن عقيل الحنبلي وقاضي القضاة الدامغاني الحنفي وأبو الوليد الباجي المالكي والإمام السيد أحمد الرفاعي والحافظ أبو القاسم ابن عساكر وابن السّمعاني والحافظ السِّلَفي والقاضي عياض والنووي والإمام فخر الدين الرازي والعز بن عبد السلام وأبو عمرو بن الحاجب المالكي وابن دقيق العيد والإمام علاء الدين الباجي وقاضي القضاة تقي الدين السبكي والحافظ العلائي والحافظ زين الدين العراقي وابنه الحافظ ولي الدين وخاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلاني وخاتمة اللغويين الحافظ مرتضى الزبيدي الحنفي والشيخ زكريا الأنصاري والشيخ بهاء الدين الرواس الصوفي ومفتي مكة أحمد زيني دحلان ومسنِد الهند وليّ الله الدهلويّ ومفتي مصر الشيخ محمد عليش المالكي المشهور وشيخ الجامع الأزهر عبد الله الشرقاوي والشيخ المشهور أبو المحاسن القاوقجي نقطة البيكار في أسانيد المتأخرين والشيخ حسين الجسر الطرابلسي صاحب" الرسالة " و"الحصون " ، وشافعي العصر رفاعي الأوان الشيخ الفقيه المحدث الأصولي عبد الله

الهرري وغيرهم من أئمة الدين كثير لا يحصيهم إلا ا لله.

ومنهم الوزير المشهور نظام الملك والسلطان العادل العالم المجاهد صلاح الدين الأيوبي طارد الصليبيين من القدس رحمه ا لله تعالى وجزاه عن المسلمين الخير فإنه أمر أن تذاع أصول العقيدة على حسب عبارات الأشعري على المنائر بعد أذان الفجر وأن تُعلّم المنظومة التي ألفها له ابن هبة ا لله المكي للأطفال في الكتاتيب . ومنهم الملك الكامل الأيوبي هازم الصليبيين في دمياط، والسلطان الأشرف خليل بن المنصور سيف الدين قلاوون طارد الصليبيين من بلاد الشام ، بل وكل سلاطين المماليك رحمهم ا لله .

ومنهم السلطان محمد العثماني فاتح القسطنطينية الذي جاء فيه حديث رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم " لتفتحن القسطنطينية فلنعم الجيش ذلك الجيش ولنعم الأمير أميره " رواه أحمد، وكذا سائر السلاطين العثمانيين الذين ذبوا عن بيضة المسلمين وحموا حمى الملة قروناً متتاليةً رحمهم ا لله .

وليس مرادنا بما ذكرنا إحصاء الأشاعرة، فمن يحصي نجوم السماء أو يحيط علماً بعدد رمال الصحراء ؟! ولكن ما ذكرناه ينبىء عن المراد كما ينبىء عنوان الكتاب على مضمونه .

وقد ذكر مسنَد الهند ولي ا لله الدهلوي الأشعري في الفضل المبين في

المُسَلسَل حديثاً مسلساً بالأشاعرة ونصه :

حديث مسلسل بالأشاعرة

قال الفقير ولي الله عفي عنه -- ومختاره في العقيدة مذهب الأشاعرة - عن أبي طاهر الشافعي الأشعري، عن أبيه الشيخ إبراهيم الكردي الأشعري، عن الشيخ أحمد القشاشي الأشعري، عن الشيخ أحمد الشناوي الأشعري، عن أبيه الشيخ علي الأشعري، عن الشمس الرملي الأشعري، عن شيخ الإسلام الزين زكريا الأشعري، عن الحافظ ابن حجر الأشعري، عن أبي الحسن علي بن أبي المجد الدمشقي الأشعري، عن أبي النصر محمد ابن محمد الشيرازي الأشعري، عن جده أبي نصر محمد بن هبة الله الشيرازي الأشعري، عن جده أبي نصر محمد بن هبة الله الشيرازي الأشعري، عن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي الأشعري، أنه قال في كتابه " تبيين كذب المفتري " حدثني الثقة من أصحابنا، أخبرني الحافظ القاضي أبو إسحاق بن علي بن الحسين الشيباني الطبري ثم المكي من لفظه ببغداد، أنا الحافظ أبو نعيم عبيد الله ابن الحسن بن أحمد الحسين بأصبهان، حدثنا أبو إبراهيم ابن سعد بن مسعود العتبي بنيسابور، أنا الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي،سمعت عبد الله بن محمد بن طاهر الصوفي يقول: رأيت أبا الحسن الأشعري في مسجد البصرة - وقد أبهتَ المعتزلة في المناظرة -

فقال له بعض الحاضرين قد عرفنا تبّحُرَك في الكلام فإني أسألك عن مسئلة ظاهرة في الفقه ؟ فقال سل ما شئت، فقال له ما تقول في الصلاة بغير فاتحة الكتاب ؟ قال حدثنا زكريا بن يحيى الساجي، حدثنا عبد الجبار، حدثنا سفيان، حدثني الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

قال : وحدثنا زكريا حدثنا بُندار، حدثنا يحيى بن سعيد، عن جعفر ابن ميمون، حدثني أبو عثمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادي بالمدينة : أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، قال : فسكت السائل و لم يقل شيئا . اهـ .

وقد أجاد شيخنا المحدث الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي حيث ذكر في كتابه المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية أبياتاً فيها الثناء على الإمام الأشعري ونصها :

والبيهقيُّ أشعريُّ المعتقد ... وابنُ عساكرَ الإمامُ المعتمد
قد كان أفضلَ المحدثينا ... في عصره بالشامِ أجمعينا
كذلك الغازي صلاح الدينِ ... من كسرَ الكفارَ أهلَ المَيْنِ
جمهورُ هذي الأمةِ الأشاعره ... حججهم قويةٌ وسافره
أئمةٌ أكابرٌ أخيارُ ... لم يُحصِهم بعددٍ ديّارُ

قولـوا لمن يـذمُّ الاشعريَّـــه   نِحلَـتكُـم بـاطـلـــةٌ ردّيَّـه

والماتريديةُ مَعْهُم في الأصـولْ   وإنما الخلافُ في بعض الفصولْ

فهــؤلاء الفِرقـــةُ الناجيـةُ   عمـدتهمْ أَلسُّنّـــةُ الماضيــــةُ

قد جمعوا الإثباتَ والتنزيـهـا   ونَفَـوْا التعطيـلَ والتشبيــهـــا

فالأَشعريُّ ماتريـديٌّ وقـــلْ   الماتريديْ أشعــريٌّ لا تُبَـــلْ

وهـل الشـافعية والمالكيــة والحنفيــة وفضــلاء الحنابلـة إلا موافقــون للأشعري بسهامه يرمون وبسيوفه يناضلون ؟! ورحم الله الشيخ أبـا نصـر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوزان القشيري القائل :

شيئـان مــن يعـذلني فـيهمــا   فهــو عــلى التحقيـق مــنى بري

حـب أبي بكـر إمـام الهـــدى   ثم اعتقـادي مـذهـب الأشعري



بيان أهمية علم التوحيد

قال الشيخ المحدث عبد الله الهرري المعروف بالحبشي :

إن العلم بالله تعالى وصفاته أجلّ العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها، ويسمى علم الأصول وعلم التوحيد وعلم العقيدة، وقد خصّ النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بالترقّي في هذا العلم فقال: "أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له" (٣) فكان هذا العلم أهمّ العلوم تحصيلاً وأحقها تبجيلاً وتعظيماً؛ قال تعالى: ﴿ **فاعلَم أنَّهُ لا إلَهَ إلا اللَّهُ وَاستَغفِر لِذَنبِكَ** ﴾ [سورة محمد / ١٩] قدم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار لتعلق التوحيد بعلم الأصول، وتعلق الاستغفار بعلم الفروع.

ويسمَّى هذا العلم أيضاً مع أدلته العقلية والنقلية من الكتاب والسنّة علم الكلام؛ والسبب في تسميته بهذا الاسم كثرة المخالفين فيه من المنتسبين إلى الإسلام وطول الكلام فيه من أهل السنّة لتقرير الحقّ؛ وقيل لأن أشهر الخلافات فيه مسألة كلام الله تعالى أنه قديم – وهو الحق – أو حادث فالحشوية قالت: كلامه صوت وحرف، حتى بالغ بعضهم فقال:إن هذا الصوت أزلي قديم، وإن أشكال الحروف التي في المصحف أزلية قديمة،

---

(٣) بوّب البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أعلمكم بالله".

فخرجوا عن دائرة العقل، وقالت طائفة أخرى: إن الله تعالى متكلم بمعنى أنه خالق الكلام في غيره كالشجرة التي سمع عندها موسى كلام الله، لا بمعنى أنه قام بذات الله كلام هو صفة من صفاته وهم المعتزلة قبّحهم الله. وقال أهل السنّة: إن الله متكلم بكلام ذاتي أزلي أبدي ليس حرفاً ولا صوتاً ولا يختلف باختلاف اللغات.

وموضوع علم الكلام هو النظر أي الاستدلال بخلق الله تعالى لإثبات وجوده وصفاته الكمالية وبالنصوص الشرعية المستخرَج منها البراهين، وهو على قانون الإسلام لا على أصول الفلاسفة، لأن الفلاسفة لهم كلام في ذلك يعرف عندهم بالإلهيات؛ وعلماء التوحيد لا يتكلمون في حق الله وفي حق الملائكة وغير ذلك اعتماداً على مجرد النظر بالعقل، بل يتكلّمون في ذلك من باب الاستشهاد بالعقل على صحة ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فالعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع وليس أصلاً للدين، وأما الفلاسفة فجعلوه أصلاً من غير التفات الى ما جاء عن الأنبياء، فلا يتقيّدون بالجمع بين النظر العقلي وبين ما جاء عن الأنبياء، على أن النظر العقلي السليم لا يخرج عمّا جاء به الشرع ولا يتناقض معه.

وقد حثّ الله عباده في القرءان على النظر في ملكوته لمعرفة جبروته فقال تعالى: ﴿**أَوَ لَم يَنظُرُوا فِي مَلَكُوت السَّمَوَاتِ والأَرض**﴾ [سورة الأعراف/١٨٥] وقال تعالى: ﴿**سَنُرِيهم ءَايَتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّى**

يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحقُّ﴾ [سورة فصلت/٥٣] .

فإن قيل: لم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم علّم أحداً من أصحابه هذا العلم، ولا عن أحد من أصحابه أنه تعلم أو علّم غيره، وإنما حدث هذا العلم بعد انقراضهم بزمان؛ فلو كان هذا العلم مهمّاً في الدين لكان أولى به الصحابة والتابعون.

قلنا: إن عُني بهذا المقال أنهم لم يعلموا ذات الله وصفاته وتوحيده وتنزيهه وحقية رسوله وصحة معجزاته بدلالة العقل بل أقرّوا بذلك تقليداً، فهو بعيد من القول شنيعٌ من الكلام؛ وقد رد الله عز وجلّ في كتابه على من قلّد أباه في عبادة الأصنام بقوله: **﴿إنّا وَجَدنَا ءابآءنا عَلَى أُمَّةٍ وإنّا عَلَى ءاثَرِهِم مُقتَدُونَ﴾** [سورة الزخرف/٢٣] أي أن اولئك اقتدوا بآبائهم في إشراكهم بغير دليل يقوم على صحة ذلك الدين، وهذا يفهم منه أن علم الدليل مطلوب قال أبو حنيفة رضي الله عنه جواباً عن القائلين: لِمَ تتكلمون بعلم الكلام والصحابة لم يتكلموا فيه قال : "إنما مثلهم كأناس ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلم يحتاجوا إلى إبراز السلاح، ومثلنا كأناس بحضرتهم من يقاتلهم فاحتاجوا إلى إبراز السلاح".ا.هـ.

وإن أريد أن الصحابة لم يتلفظوا بهذه العبارات المصطلحة عند أهل هذه الصناعة نحو الجوهر والعرض، والجائز والمحال، والحدث والقدم، فهذا مُسَلّمٌ به، لكننا نعارض هذا بمثله في سائر العلوم، فإنه لم ينقل عن النبي

صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه التلفظ بالناسخ والمنسوخ، والمجمَل والمتشابه وغيرها كما هو المستعمل عند أهل التفسير، ولا بالقياس والاستحسان، والمعارضة والمناقضة، والطرد والشرط، والسبب والعلة، وغيرها كما هو المستعمل عند الفقهاء، ولا بالجرح والتعديل والآحاد والمشهور والمتواتر والصحيح والغريب وغير ذلك كما هو مستعمل عند أهل الحديث، فهل لقائل أن يقول يجب رفض هذه العلوم لهذه العلّة؛ على أنه في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لم تظهر الأهواء والبدع فلم تمس الحاجة إلى الدخول في التفاصيل والاصطلاحات.

وهذا العلم أصله كان موجوداً بين الصحابة متوفراً بينهم أكثر ممن جاء بعدهم، والكلام فيه بالرد على أهل البدع بدأ في عصر الصحابة، فقد رد ابن عباس وابن عمر على المعتزلة، ومن التابعين ردّ عليهم عمر بن عبد العزيز والحسن بن محمد ابن الحنفية وغيرهما وقد قطع علي كرم الله وجهه الخوارج بالحجة وقطع دهرياً (٤) وأقام الحجة على أربعين رجلاً من اليهود المجسمة بكلام نفيس مُطنَبٍ؛ وفيه قوله رضي الله عنه: من زعم أنّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود (٥) وقطع الحبر ابن عباس رضي الله عنهما الخوارج بالحجة أيضاً، وقطع إياس بن معاوية القاضي القدرية،

---

(٤) الدهرية هم القائلون بأن هذا العالم وجد صدفة أو بفعل الطبيعة وأنه ليس له خالق.

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية .

وقطع الخليفة عمر بن عبد العزيز أصحاب شَوذَب الخارجي، وألّف رسالة في الرد على المعتزلة وهي رسالة وجيزة، وقطع ربيعة الرأي شيخُ الإمامِ مالك غيلانَ بن مسلم أبا مروان القدري.

وكذلك اشتغل بهذا العلم الحسن البصري وهو من أكابر التابعين. فإن قيل: روى البيهقي (٦) بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: "تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله" فهو منهي عنه.

فالجواب: أن النهي ورد عن التفكر في الخالق مع الأمر بالتفكّر في الخلق، فإنه يوجب النظر وإعمال الفكر والتأمّل في ملكوت السموات والأرض ليُستدل بذلك على وجود الصانع وعلى أنه لا يشبه شيئاً من خلقه؛ ومن لم يعرف الخالق من المخلوق كيف يعمل بهذا الأثر الصحيح وقد أمر القرءان بتعلم الأدلة على العقائد الإسلامية على وجوده تعالى وعلى ثبوت العلم له والقدرة والمشيئة والوحدانية إلى غير ذلك ولم يطعن إمام معتبر في هذا العلم الذي هو مقصد أهل السنة والجماعة من السلف والخلف.

وما يُروى عن الشافعي أنه قال: "لأن يلقى اللّه العبدُ بكل ذنب ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام" بهذا اللفظ فهو غير ثابت

---

(٦) اخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص/٤٢٠.

عنه، واللفظ الثابت عنه هو: "لأن يلقى الله عز وجل العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشىء من هذه الأهواء (٧).

والأهواء جمع هوى وهو ما مالت إليه نفوس المبتدعة الخارجين عما كان عليه السلف، أي ما تعلق به البدعيون في الاعتقاد كالخوارج والمعتزلة والمرجئة والنجارية وغيرهم، وهم الاثنتان والسبعون فرقة كما ورد في الحديث المشهور: "وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنّة وهي الجماعة" رواه أبو داود(٨). فليس كلام الشافعي على إطلاقه، إنما هو في المبتدعة القدرية وغيرهم الذين جانبوا نصوص الشريعة كتاباً وسنةً، وتعمقوا في الأهواء الفاسدة، وأما الكلام الموافق للكتاب والسنة الموضح لحقائق الشريعة عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء قاطبة لم يذمّه الشافعي، وقد كان يحسنه ويفهمه وقد ناظر بشراً المريسي وحفصاً الفرد فقطعهما.

قال الإمام الحافظ ابن عساكر في كتابه الذي ألّفه في الدفاع عن الإمام الأشعري وبيّن فيه كذب من افترى عليه ما نصّه (٩): "والكلام المذموم كلام أصحاب الأهوية وما يزخرفه أرباب البدع المُردية، فأما

---

(٧) أخرج طرقه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص/٣٣٧.

(٨) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب شرح السنّة.

(٩) تبيين كذب المفتري ص/٣٣٩.

الكلام الموافق للكتاب والسنّة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء ومن يعلمه، وقد كان الشافعي يحسنه ويفهمه، وقد تكلم مع غير واحد ممن ابتدع، وأقام الحجة عليه حتى انقطع". ثم ذكر بإسناده إلى الربيع بن سليمان قال: "حضرت الشافعي وحدثني أبو سعيد أعلم أنه حضر عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمرو بن يزيد وحفص الفرد وكان الشافعي يسميه المنفرد، فسأل حفص الفرد عبدَ الله بن عبد الحكم فقال: ما تقول في القرءان، فأبى أن يجيبه فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه، وكلاهما أشار إلى الشافعي، فسأل الشافعي فاحتج عليه الشافعي، فطالت فيه المناظرة فقام الشافعي بالحجة عليه بأن القرءان كلام الله غير مخلوق، وكفّر حفصاً الفرد قال الربيع: فلقيت حفصاً في المسجد بعد، فقال: أراد الشافعي قتلي".إ.هـ.

فإن قيل: قد ذم علم الكلام جماعةٌ من السلف، فروي عن الشعبي أنه قال: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن حدَّث بغرائب الحديث كذب وروي مثله عن مالك الإمام والقاضي أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة قلنا: أجاب الحافظ أبو بكر البيهقي عنه بقوله: "إنما أرادوا بالكلام كلام أهل البدع، لأن عصرهم إنما كان يعرف بالكلام فيه أهل البدع، وأما أهل السنّة فقلَّما كانوا يخوضون في الكلام حتى اضطُر إليه بعد؛ ويحتمل ذمّهم له وجهاً ءاخر وهو أن يكون

المراد به أن يقتصر على علم الكلام ويترك تعلم علم الفقه الذي يتوصل به إلى معرفة الحلال والحرام، ويرفض العمل بما أُمر بفعله من شرائع الإسلام، ولا يلتزم فعل ما أمر به الشارع وترك ما نهى عنه من الأحكام" ا.هـ.

وقال: وقد بلغني عن حاتم الأصمّ وكان من أفاضل الزهّاد وأهل العلم أنه قال: الكلام أصل الدين، والفقه فرعه، والعمل ثمره، فمن اكتفى بالكلام دون الفقه والعمل تزندق، ومن اكتفى بالعمل دون الكلام والفقه ابتدع، ومن اكتفى بالفقه دون الكلام والعمل تفسّق، ومن تفنن في الأبواب كلها تخلص.ا.هـ. وقد روي مثل كلام حاتم عن أبي بكرٍ الورّاق.

وللإمام أبي حنيفة رضي اللَّه عنه: (الفقه الأكبر) و (الرسالة) و(الفقه الأبسط) و(العالم والمتعلم) و(الوصية)؛ أما الوصية فقد اختلف في نسبتها إلى الإمام كثيراً، فمنهم من ينكر نسبتها للإمام مطلقاً ويزعم أنها ليست من عمله، ومنهم من ينسبها إلى محمد بن يوسف البخاري المكنّى بأبي حنيفة، وهذا قول المعتزلة لما فيها من إبطال نصوصهم الزائفة وادعائهم كون الإمام منهم (أي في المعتقد) كما في المناقب الكردرية والإمام أبو حنيفة وصاحباه أول من تكلّم في أصول الدين بالتوسّع وأتقنها بقواطع البراهين على رأس المائة الأولى، ففي التبصرة البغدادية (١٠): أول متكلمي

---

(١٠) أصول الدين (ص/٣٠٨).

أهل السنّة من الفقهاء أبو حنيفة والشافعي، ألّف فيه الفقه الأكبر والرسالة في نصرة أهل السنّة إلى مقاتل بن سليمان صاحب التفسير وكان مجسّماً، وقد ناظر فرقة الخوارج والروافض والقدرية والدهرية وكانت دعاتهم بالبصرة فسافر إليها نيفاً وعشرين مرةً، وفضّهم بالأدلة الباهرة، وبلغ في الكلام (أي علم التوحيد) إلى أنه كان المشار إليه بين الأنام، واقتدى به تلامذته الأعلام . اهـ .

وفي مناقب الكردري عن خالد بن زيد العمري أنه كان أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر وحماد بن أبي حنيفة قد خصموا بالكلام الناس أي ألزموا المخالفين، وهم أئمة العلم وعن الإمام أبي عبد الله الصيمري أن الإمام أبا حنيفة كان متكلم هذه الأمة في زمانه، وفقيههم في الحلال والحرام

وهذه الكتب الخمسة ليست للإمام أبي حنيفة نفسه، بل الصحيح أن هذه المسائل المذكورة في هذه الكتب من أمالي الإمام التي أملاها على أصحابه كحمّاد وأبي يوسف وأبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي وأبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي، فهم الذين قاموا بجمعها، وتلقاها عنهم جماعة من الأئمة كإسماعيل بن حمّاد ومحمد بن مقاتل الرازي ومحمد بن سماعة ونصير بن يحيى البلخي وشداد بن الحكم وغيرهم إلى أن وصلت بالإسناد الصحيح إلى الإمام أبي منصور الماتريدي، فمن عزاها الى الإمام

صح لكون تلك المسائل من إملائه إلى أبي مطيع البلخي وغيره، ومن عزاها إلى غيره ممن هو في طبقته أو ممن هو بعدهم صح لكونها من جمعه، ذكره الفقيه المحدّث اللغوي محمد مرتضى الزبيدي.

وقال الزركشي في تشنيف المسامع: إن الأئمة انتدبوا للرد عل أهل البدع والضلال، وقد صنف الشافعي كتاب (القياس) ردّ فيه على من قال بقدم العالم من الملحدين، وكتاب (الرد على البراهمة) وغير ذلك، وأبو حنيفة كتاب (الفقه الأكبر) وكتاب (العالم والمتعلّم) ردّ فيه على المخالفين، وكذلك مالك سئل عن مسائل هذا العلم فأجاب عنها بالطريق القويم، وكذلك الإمام أحمد.ا.هـ.

وقد صنف سيد المحدّثين في زمانه محمد بن اسماعيل البخاري – المتوفى سنة ٢٥٦هـ – كتاب (خلق أفعال العباد)، وصنف المحدث نعيم ابن حماد الخزاعي وهو من أقران الإمام – المتوفى في حبس الواثق سنة ٢٢٨هـ – كتاباً في الردّ على الجهمية وغيرهم، وصنّف المحدّث محمّد بن أسلم الطوسي – المتوفى سنة ٢٤٢هـ – وهو من أقران الإمام أحمد أيضاً في الردّ على الجهمية، وقد ردّ على المعتزلة فأجاد بالتأليف ثلاثة من علماء السنّة من أقران الإمام أحمد بن حنبل: الحارث المحاسبي، والحسين الكرابيسي وعبد الله بن سعيد بن كُلاّب القطّان– المتوفى بعد الأربعين ومائتين بقليل وأخوه يحي بن سعيد الامام المشهور– ويمتاز الأول بإمامته

أيضاً في التصوف.

وقد صنّف إماما أهل السنّة والجماعة في عصرهما وبعده إلى يومنا هذا أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي المصنفات العظيمة في الردّ على طوائف المبتدعة والمخالفين للإسلام مملوءة بحجج المنقول والمعقول، وامتاز الأول بمناظراته العديدة للمعتزلة بالبصرة التي فلَّ بها حَدَّهم وقلل عددهم وكانت وفاة الأشعري في سنة أربع وعشرين وثلاث مائة للهجرة، وتوفي الشيخ أبو منصور بعد وفاة الأشعري بقليل.

وصنّف أتباعهما من بعدهما المئات من المجلدات في الردّ على المبتدعة والمخالفين للإسلام بالحجج الدافعة الكثيرة والمناظرات العديدة قطعوا بها المعتزلة الذين هم أفحل طوائف المبتدعة، كما قطعوا غيرهم من المبتدعة والدهريين والفلاسفة والمنجّمين، ورفعوا لواء مذهب الأشعري في الخافِقَين [11] وأبرزهم في نشره ثلاثة: الأستاذ أبو بكر بن فُورَك، وأبو إسحق الإسفرايني، والقاضي الإمام أبو بكر الباقلاني، فالأولان نشراه في المشرق، والقاضي نشره في المشرق والمغرب، فما جاءت المائة الخامسة إلا والأمة الإسلامية أشعرية وماتريدية لم يشذّ عنها سوى نزرٌ من المعتزلة وشرذمة من المشبّهة وطائفة من الخوارج؛ فلا تجد عالماً محققا أو فقيهاً مدققاً إلا وهو أشعري أو ماتريدي.

---

(11) المشرق والمغرب

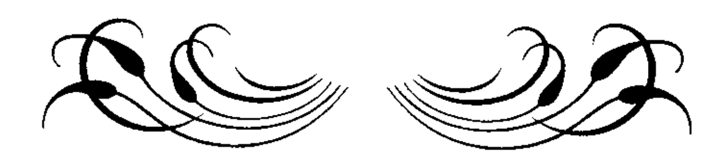
وإن حال هؤلاء المنكرين لعلم الكلام لهو الموصوف بقول الشاعر فيهم: (البسيط)

عـــابَ الكـــلامَ أنـــاسٌ لا عقـــولَ لهـــم

ومـــا عليـــهِ إذا عـــابُـوهُ مـــن ضَـــرَرِ

مـــا ضـــرَّ شَمسَ الضُّحى فـــي الأُفقِ طالعةً

أن لا يَـــرى ضَوءَها من ليس ذا بَصَـــرِ



نسخة الرسالة وإسنادها

نسخة رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري التي طبعنا عنها نسختنا هذه نسخةٌ معتمدةٌ مقروءة على عدد من العلماء الكبار . طبع عنها بمجلس دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد الدكن في الهند ثلاث طبعات تحت مراقبة السيد شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية وقاضي المحكمة العليا سابقاً جزاه ا لله خيراً بالإسناد التالي : أنبأنا الشيخ الإمام جمال الدين أبو الحسن بن إبراهيم بن عبد ا لله القرشي إجازة بخطه قال أنبانا الفقيه الإمام العالم فخر الدين أبو المعالي محمد ابن أبي الفرج بن محمد بن بركة الموصلي قراءة عليه وأنا أسمع في مسجده بسوق السلطان ببغداد يوم الثلاثاء الثامن من شوال سنة ستمائة – قيل له قرأت على الشيخ الإمام الصدوق أبي منصور المبارك بن عبد ا لله بن محمد البغدادي يوم عرضك برباطه المعروف برباط البربهيرية شرقي مدينة السلام من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ؟ فأقرّ به – أنا الشيخ الإمام الحافظ جمال الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خالد المعروف بابن الإخوة سنة اثنتين واربعين وخمسمائة أنبأنا الشيخ أبو الفضل محمد بن يحيى الناتلي بمازندران في منزله بقراءتي عليه أنا أبو نصر عبد الكريم بن محمد بن هارون الشيرازي أنا عليّ بن رستم ثنا عليّ بن المهدي قال سمعت الشيخ الأوحد شيخ المشايخ أبا الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري رضي ا لله عنه إهـ.

ثم قرأت هذه النسخة على شيخنا العلامة عبد الله العبدري الهرري حفظه الله وقواه حرفاً حرفاً وضبطتها ضبطاً جيداً محكماً فصارت عند ذلك جاهزة لتوضع بين أيدي أهل العلم والفهم من أهل الدين ليستفيدوا منها ويقطفوا من ثمار تلك الغراس التي غرسها شيخ السنة وإمامها قدوتنا أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى .

ويروي شيخنا الهرريّ بفضل الله تعالى هذه الرسالة بطرق متعددة كثيرة نخص منها روايته عن شيخ القراء في الحرم المكي الشيخ أحمد بن عبد المطلب الحبشي الشافعي عن جده المفتي داود بن أبي بكر الشافعي عن مفتي زبيد عبد الرحمٰن بن سليمان بن يحيى الأهدل الشافعي صاحب النفس اليماني عن أبيه سليمان بن يحيى الشافعي عن الفقيه الشافعي المساوي بن ابراهيم الحشيبري عن الفقيه الشافعي اسماعيل بن محمد الحشيبري عن الفقيه الشافعي عبد الواحد الحشيبري عن الفقيه الشافعي يحيى بن أحمد الحشيبري عن الفقيه الشافعي محمد بن أبي بكر الأشخر عن الفقيه الشافعي أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي عن الشيخ الفقيه الشافعي القاضي زكريا ابن محمد الأنصاري عن التقي محمد ابن النجم محمد بن فهد الشافعي عن مجد الدين اللغوي الفيروزابادي عن الحافظ سراج الدين القزويني عن القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله التفتازاني عن شرف الدين ابي بكر بن محمد الهروى عن الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي

الرازي عن والده ضياء الدين عن أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري عن إمام الحرمين الجويني عن أبي القاسم الإسفرايني عن الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني عن أبي الحسن الباهلي عن الإمام أبي الحسن الإشعري رضي الله عنه . (ح) وبالإسناد إلى عبد الرحمٰن الأهدل عن أحمد بن عبد القادر بن بكري بن محمد العجيلي الحفظي عن السيد أحمد بن عبد القادر ابن بكري بن محمد العجيلي الحفظي عن السيد أحمد بن سليمان الهجام الأهدل عن محمد بن علاء الدين المزجاجي . (ح) وبالإسناد إلى عبد الرحمٰن الأهدل عن والده سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل عن الولي الفقيه أحمد بن حسن الموقري عن محمد بن علاء الدين المزجاجي عن أبي الأسرار حسن العجيمي عن الصفى أحمد بن محمد العجل عن الإمام يحيى ابن مكرم الطبري عن الحافظ عبد العزيز بن فهد عن أبي الفتح محمد بن أبي بكر المراغي، نا أبو الفرج عبد الرحمٰن بن أحمد بن المبارك الغزى، عن أبي العباس أحمد بن عبد الدائم المقدسي عن أبي عبد الله محمد بن علي الحراني، عن فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي، عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، عن أبي القاسم الإسكاف، عن الأستاذ أبي إسحاق عن الشيخ أبي الحسن الباهلي عن المؤلف الحجة ابي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري به وبسائر تصانيفه . (ح) وبالإسناد إلى القاضي زكريا الأنصاري عن محمد بن النجم محمد بن فهد، نا العلامة ضياء الدين محمد بن محمد بن سعيد العمري الصنعاني عن الإمام قوام

الدين مسعود بن ابراهيم الكرماني عن العلامة تاج الدين محمد بن محمود الزوزني نا الفخر محمد بن عمر الرازي الشافعي عن أبيه ضياء الدين عمر الرازي الشافعي عن أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري عن أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي عن أبي القاسم الإسكاف الشافعي عن الأستاذ أبي إسحاق الشافعي عن الشيخ أبي الحسن الباهلي عن المؤلف الحجة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الشافعي .

ويروي شيخنا الهرري حفظه الله عن المفتي محمد سراج الجبرتي والشيخ عبد الرحمن عبد الله الحبشي كلاهما عن الشيخ المشهور محمد حبيب الله الشنقيطي عن الشيخ عبد المجيد الشرنوبي الأزهري عن الحسن القويسني عن محمد الأمير الكبير صاحب ثبت سد الأرب (ح) وعن شيخ القراء في الحرم المكي الشيخ أحمد بن عبد المطلب الحبشي الشافعي المتقدم ذكره عن الشيخ شعيب المغربي عن الشيخ سليم البشري شيخ المالكية في الأزهر عن الشيخ أحمد منة الله الأزهري عن الشيخ الأمير الصغير عن محمد الأمير الكبير صاحب الثبت المشهور عن شيخه العالم الفاضل أبي الحسن علي بن محمد العربي السقاط المالكي عن محمد الزرقاني عن والده الشيخ عبد الباقي عن الشيخ علي الأجهوري عن الشيخ محمد بن أحمد الرملي عن الشيخ زكريا الأنصاري عن التقي محمد بن فهد بالإسناد المتقدم.

الشيخ محمد الولي



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم .

أنبأنا الشيخ الإمام جمال الدين أبو الحسين بن إبراهيم بن عبد الله القرشي إجازة بخطه، قال أنبأ الفقيه الإمام فخر الدين أبو المعالي محمد ابن أبي الفرج بن محمد بن بركة الموصلي قراءة عليه وأنا أسمع في مسجده بسوق السلطان ببغداد يوم الثلاثاء الثامن من شوال سنة ستمائة، قيل له قرأتَ على الشيخ الإمام الصدوق أبي منصور المبارك بن عبد الله بن محمد البغدادي يوم عرضِك برباطه المعروف برباط البربهيرية شرقي مدينة السلام من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ؟ فأقر به، أنا الشيخ الإمام الحافظ جمال الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خالد المعروف بابن الإخوة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، أنبأنا الشيخ أبو الفضل محمد بن يحيى الناتِلي بمازندران في منزله بقراءتي عليه، أنا أبو نصر عبد الكريم بن محمد بن هارون الشيرازي، أنبأ علي بن رستم، ثنا علي بن مهدي، قال: سمعت الشيخ الأوحد شيخ المشايخ أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه يقول :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي وءاله الطيبين

وأصحابه الأئمة المنتخبين .

أما بعد فإن طائفة من الناس جعلوا الجهل رأس مالهم وثَقُل عليهم النظر والبحث عن الدين، ومالوا إلى التخفيف والتقليد، وطعنوا على من فتش عن أصول الدين ونسبوه إلى الضلال، وزعموا أن الكلام في الحركة والسكون والجسم والعَرَضِ والألوان والأكوان والجُزء والطَّفرة وصفات الباريء عز وجل بدعة وضلالة (١٢)، وقالوا : لو كان ذلك هدى ورشاداً لتكلم فيه النبي صلى الله عليه وءاله وسلم وخلفاؤه وأصحابه، قالوا : ولأن النبي صلى الله عليه وءاله وسلم لم يمت حتى تكلم في كل ما يحتاج إليه من أمور الدين وبينّه بياناً شافياً، ولم يترك بعده لأحد مقالاً فيما للمسلمين إليه حاجة من أمور دينهم وما يقربهم إلى الله عز وجل ويباعدهم عن سخطه، فلما لم يرووا عنه الكلام في شيء مما ذكرناه علمنا أن الكلام فيه بدعةٌ والبحثَ عنه ضلالةٌ، لأنه لو كان خيراً لما فات النبيَّ صلى الله عليه وءالهِ وأصحابه وسلم ولتكلّموا فيه، قالوا : ولأنه ليس يخلو ذلك من

---

(١٢) ومن جملة هؤلاء الجامدين المتبعين لابن تيمية في التشبيه والتجسيم ابن باز حيث قال في كتاب له أسماه : " تنبيهات هامة على ما كتبه الشيخ محمد علي الصابوني في صفات الله" قال هذا المجسّم ابن باز : إن تنزيه الله عن الجسم والحدقة والصماخ واللسان والحنجرة ليس بمذهب أهل السنة بل هو من أقوال أهل الكلام المذموم وتكلفهم . (ص ٢٢ طبع ما يسمى بجمعية احياء التراث الاسلامي – الكويت) .

وجهين : إما أن يكونوا علموه فسكتوا عنه، أو لم يعلموه بل جهلوه، فإن كانوا عِلموه و لم يتكلَّموا فيه وسِعنا أيضاً نحن السكوتُ عنه كما وسعهم السكوتُ عنه، ووسِعنا تركُ الخوضِ كما وسِعهُم تركُ الخوضِ فيه، ولأنه لو كان من الدين ما وسعهم السكوت عنه، وإن كانوا لم يعلموه وسِعَنا جهلُه كما وسع أولئك جهلُه، لأنه لو كان من الدين لم يجهلوه، فعلى كِلا الوجهين الكلامُ فيه بدعةٌ والخوضُ فيه ضلالةٌ . فهذه جملة ما احتجوا به في ترك النظرِ في الأصولِ .

قال الشيخ أبو الحسنِ رضي الله عنه : الجوابُ عنه من ثلاثةِ أوجُهٍ : (**أحدها**) قلب السؤالِ عليهم بأن يقال : النبيُّ صلى الله عليه وءاله وسلم لم يقل أيضاً إنه من بَحَثَ عن ذلك وتكلَّم فيه فاجعلوه مبتدِعاً ضالاً، فقد لزمكم أن تكونوا مبتدعةً ضُلاّلاً إذ قد تكلمتم في شىء لم يتكلم فيه النبيُّ صلى الله عليه وءاله وسلم، وضلَّلتم من لم يُضَلِّلْهُ النبيُّ صلى الله عليه وءاله وسلم .

(**الجواب الثاني**) أن يقالَ لهم : إن النبيَّ صلى الله عليه وءاله وسلم لم يجهل شيئاً مما ذكرتُمُوه من الكلامِ في الجسمِ والعَرَضِ والحركةِ والسكونِ والجزءِ والطَّفرةِ وإن لم يتكلَّم في كلِّ واحدٍ من ذلك معيَّناً، وكذلكَ الفقهاءُ والعلماءُ من الصحابةِ غيرَ أنَّ هذه الأشياءَ التي ذكرتموها معيَّنةً، أصولُها موجودةٌ في القرءان والسُّنةِ جملةً غير مفصَّلَةٍ .

فأما الحركةُ والسكونُ والكلامُ فيهما فأصلُهما موجودٌ في القرءانِ وهما يدلاَّنِ على التوحيدِ، وكذلكَ الاجتماعُ والافتراقُ، قالَ اللهُ تعالى مخبِراً عن خليلِهِ إبراهيمَ صلواتُ اللهِ عليه وسلامُهُ في قِصَّةِ أفولِ الكوكبِ والشمسِ والقمرِ وتحريكِها من مكانٍ إلى مكانٍ ما دَلَّ على أن ربَّهُ عز وجل لا يجوز عليه شيء من ذلك، وأنَّ من جاز عليه الأفولُ والانتقالُ من مكان إلى مكان فليسَ بإلهٍ .

وأما الكلامُ في أصولِ التوحيدِ فمأخوذٌ أيضاً من الكتابِ، قال الله تعالى ﴿ **لو كان فيهما ءالهةٌ إلا اللهُ لفسدتا** ﴾، وهذا الكلامُ موجَزٌ مُنَبِّهٌ على الحجة بأنه واحدٌ لا شريك له، وكلامُ المتكلمينَ في الحِجاج في التوحيدِ بالتمانعِ والتغالبِ فإنما مرجعه إلى هذه الآية، وقوله عز وجل ﴿ **ما اتخذ الله من وَلَدٍ وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض** ﴾ وإلى قوله عز وجل : ﴿ **أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق** ﴾ .

وكلام المتكلمين في الحِجاج في توحيد الله إنما مرجعه إلى هذه الآيات التي ذكرناها، وكذلك سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد والعدل إنما هو مأخوذ من القرءان، فكذلك الكلامُ في جوازِ البعثِ واستحالته الذي قد اختلفَ عقلاءُ العَرَبِ ومَن قبلَهم مِن غيرِهم فيه حتى تعجَّبوا من جواز ذلك فقالوا ﴿ **ءإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد** ﴾، وقولهم ﴿ **هيهات**

هيهاتَ لِما توعدون﴾، وقولهم ﴿**من يحي العظام وهي رميم**﴾، وقوله تعالى : ﴿**أيعِدُكُم أنكم إذا مِتُّم وكنتُم تُراباً وعظاماً أنكم مُخرجون**﴾، وفي نحو هذا الكلام منهم إنما ورد بالحِجاج في جواز البعثِ بعد الموتِ في القرءانِ تأكيدًا لجوازِ ذلك في العقول وعَلَّمَ نبيَّهُ صلى ا لله عليه وءاله وسلم ولقّنه الحجاج عليهم في إنكارهم البعثَ من وجهَين على طائفتين: منهم طائفةٌ أقَرَّت بالخلقِ الأولِ وأنكَرَت الثاني، وطائفةٌ جحدت ذلك بقدم العالَمَ، فاحتجَّ على المقِرّ منها بالخلقِ الأولِ بقوله ﴿**قل يحييهَا الذي أنشأَها أَول مرة**﴾، وبقوله ﴿**وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيدُه وهو أهونُ عليه**﴾ وبقوله ﴿**كما بدأكم تعودُون**﴾، فنبَّهَهُم بهذهِ الآياتِ على أنَّ من قَدَرَ أن يفعلَ فِعلاً على غيرِ مثالٍ سابقٍ فهو أقدرُ أن يفعلَ فِعلاً محدَثاً فهو أهونُ عليه فيما بينَكُم وتَعَارُفِكُمْ، وأما البارىءُ جلَّ ثناؤه وتقدست أسماؤُه فليسَ خلقُ شيءٍ بأهونَ عليهِ من الآخرِ، وقد قيل : إن الهاءَ في " عليهِ " إنما هي كنايةٌ للخلقِ بقُدرَتِهِ، إن البعثَ والإعادةَ أهونُ على أحدِكُم وأخفُّ عليه من ابتداءِ خلقه، لأن ابتداءَ خلقِه إنما يكونُ بالولادةِ والتربيةِ وقطعِ السُّرَّة والقِمَاطِ وخروجِ الأسنان وغير ذلك من الآياتِ الموجعةِ المؤلمةِ، وإعادَتُه إنما تكونُ دَفعَةً واحدةً ليسَ فيها من ذلك شيءٌ فهي أهونُ عليه من ابتدائِهِ، فهذا ما احتجَّ به على الطائفةِ المقِرَّةِ بالخلقِ .

وأما الطائفةُ التي أنكرت الخلقَ الأولَ والثاني وقالت بقدَمِ العالَمِ فإنما

دَخَلَت عليهم شُبهَةٌ بأن قالوا : وَجَدنا الحياةَ رَطبَةً حارةً والموتَ بارداً يابساً، وهوَ من طَبعِ التُّرابِ، فكيفَ يجوزُ أن يَجمَعَ بينَ الحياةِ والترابِ والعظامِ النَّخِرَة فيصير خلقاً سَوِيًّا، والضِّدانِ لا يجتمعانِ، فأنكروا البعثَ من هذهِ الجهةِ .

ولَعَمري إن الضدينِ لا يجتمعانِ في محلٍ واحدٍ ولا في جهةٍ واحدةٍ ولا في الموجودِ في المحل، ولكنه يصحُ وجودُهُما في محلينِ على سبيل المجاورة، فاحتجَّ الله تعالى عليهم بأن قال ﴿ **الذي جعل لكم من الشجر الأخضرِ نارًا فإذا أنتم منه توقِدون** ﴾، فردَّهُم اللهُ عز وجلَ في ذلك إلى ما يعرفونه ويشاهدونه من خروج النار على حرّها ويُبسها من الشجر الأخضر على بردها ورطوبتها، فجعل جواز النشأة الأولى دليلاً على جوازِ النشأة الآخرة لأنها دليل على جواز مجاورةِ الحياةِ الترابَ والعظامَ النخرةَ فجعلها خلقاً سويًا وقال﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده**﴾.

وأما ما يتكلمُ به المتكلمون من أن للحوادث أولاً وردُّهم على الدهرية أنه لا حركة إلا وقبلَها حركةٌ ولا يومَ إلا وقبله يومٌ (١٣)، والكلامُ

---

(١٣) وبهذا عرفت حقيقة ابن تيمية أنه من الدّهرية الكفار لقوله بأنه ما من حركة إلا وقبلها حركة كما قال في كتابه موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (ج ١ ص ٢٩١ طبع دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥) وهو كفر اجماعاً كما قال ابن دقيق العيد والزركشي والنووي والقاضي عياض وغيرهم كابن حزم في مراتب الاجماع وأنكر ابن

على من قال : ما من جُزء إلا وله نصفٌ لا إلى غايةٍ، فقد وجَدنا أصلَ ذلك في سنة رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم حين قال : " لا عدوى ولا طِيرَةَ، فقال أعرابي : فما بالُ الإبلِ كأنها الظِبّاءُ تدخلُ في الإبلِ الجَربى فَتجرَبُ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وءاله وسلم: فمن أعدَى الأولَ" ؟ (١٤) فسكتَ الأعرابيُّ لمّا أفحَمهُ بالحجةِ المعقولةِ .

وكذلك نقول لمن زعم أنه لا حركة إلا وقبلها حركة : لو كان الأمرُ هكذا لم تَحدُث منها واحدةٌ، لأن ما لا نهاية له لا حَدَثَ له، وكذلك لما قال الرجل : يا نبي الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسودَ وعَرَّضَ بنفيهِ، فقال النبي صلى الله عليه وءاله وسلم : هل لك من إبلٍ ؟ فقال : نعم ! قال : فما ألوانها، قال: حُمْرٌ، فقال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم : هل فيها من أوْرَقَ ؟ قال : نعم إن فيها أوْرَق، قال : فأنَّى ذلك ؟

تيمية على ابن حزم ذكره الاجماع على تكفير من قال بخالق سوى الله وذلك في كتاب أسماه نقد مراتب الاجماع، وذكر ابن تيمية هذه العقيدة الكفرية أي قوله بأزلية العالم في ستة من كتبه ورأينا ذلك فيها وهي الموافقة وقد ذكرناه وشرح حديث عمران بن الحصين و شرح حديث النزول و منهاج السنة النبوية والفتاوى الكبرى ونقد مراتب الاجماع فابن تيمية في الحقيقة دهري قائل بأزلية العالم ومن أراد المزيد فليطالع كتاب شيخنا عبد الله الهرري الذي أسماه المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية وما جمعته باسم الرسالة المنبهة في قطع دابر المشبهة .

(١٤) رواه البخاري في كتاب الطب .

قال : لعل عِرقاً نزعه، فقال النبي صلى الله عليه وءاله وسلم: ولعل ولدك نَزَعَهُ عِرقٌ ، فهذا ما عَلَّمَ الله نبيَّه من ردِّ الشيءِ إلى شكلِهِ ونظيره، وهو أصلٌ لنا في سائِرِ ما نحكم به من الشبيهِ والنظيرِ.

وبذلك نحتج على من قال : إن الله تعالى وتقدَّسَ يُشبهُ المخلوقاتِ وهو جسم، بأن نقول له : لو كان يشبه شيئاً من الأشياءِ لكان لا يخلو من أن يكون يشبهه من كل جهاته، أو يشبهه من بعض جهاته فإن كان يشبهه من كل جهاته وَجَبَ أن يكونَ محدَثاً من كل جهاته، وإن كان يشبهه من بعض جهاته وجب أن يكون محدَثا مثلَه من حيثُ أشبَهَهُ، لأن كل مُشتَبِهَين حكمُهما واحدٌ فيما اشتبها به، ويستحيلُ أن يكون المحدَثُ قديمًا والقديمُ محدَثاً، وقد قال تعالى وتقدس ﴿ **ليس كمثله شيء**﴾ وقال تعالى وتقدس﴿ **ولم يكن له كفوًا أحد**﴾ .

وأما الأصل في أن للجسم نهايةً وأن الجزء لا ينقسم فقوله عز وجل اسمه ﴿ **وكلَّ شيء أحصيناه في إمامٍ مبين** ﴾ ومُحالٌ إحصاءُ ما لا نهايةَ له، ومحالٌ أن يكونَ الشيءُ الواحدُ ينقسم (١٥) لأنَّ هذا يوجبُ أن يكونا شيئينِ، وقد أخبرَ أن العدَد وقَعَ عليهما . وأما الأصلُ في أن المحدِثَ للعالم يجبُ أن يتأتى له الفعلُ نحو قصدِه واختيارِهِ وتنتفي عنه كراهيتُهُ،

---

(١٥) مراده الجزء الذي لا ينقسم وهو الجوهر الفرد، بدليل ما قبله .

فقوله تعالى ﴿ **أفرأيتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**﴾ فلم يستطيعوا أن يقولوا بحجة إنهم يخلقون مع تمنّيهم الولدَ، فلا يكون مع كراهيته له فنبَّههم أن الخالقَ هو من يَتَأَتّى منه المخلوقاتُ على قصدِهِ .

الصواب: فلا يكون، ومع كراهيتهم له فيكون

وأما أَصلنا في المناقَضَةِ على الخصمِ في النظرِ فمأخوذٌ من سنةِ سيدنا محمد صلى الله عليه وءاله وسلم، وذلك تعليمُ اللهِ عز وجل إياهُ حين لقي الحَبرَ السمينَ فقال له : نَشَدتُكَ بالله هل تجد فيما أنزل الله تعالى من التوراة أن الله تعالى يبغض الحبر السمين؟ فغضب الحبر حين عيَّره بذلك (١٦)، فقال : ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال الله تعالى :﴿ **قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً** ﴾ الآية ، فناقضه عن قرب، لأن التوراة شيء، وموسى بشر، وقد كان الحبر مقرًا بأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى .

وكذلك ناقض الذين زعموا أن الله تعالى عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار، فقال تعالى ﴿ **قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فَلِمَ قتلتموهم إن كنتم صادقين**﴾ فناقضهم بذلك وحاجّهم .

وأما أصلنا في استدراكنا مغالطة الخصوم فمأخوذ من قوله تعالى:

---

(١٦) رواه البيهقي وغيره (انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص ١٢٤) .

﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لا يسمعون** ﴾ فإنها لما نزلت هذه الآية بلغ ذلك عبدَ الله ابن الزِّبَعْرَى - وكان جَدِلاً خَصِماً - فقال : خصمت محمدًا وربِّ الكعبة، فجاء إليه رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم، فقال : يا محمد ألست تزعم أن عيسى وعزيرًا والملائكة عُبدوا ؟ فسكت النبي صلى الله عليه وءاله وسلم لا سكوتَ عيٍ ولا منقطع تعجبًا من جهله لأنه ليس في الآية ما يوجب دخولَ عيسى وعزيرٍ والملائكةِ فيها، لأنه قال﴿ **وما تعبدون** ﴾ ولم يقل وكلّ ما تعبدون من دونِ الله، وإنما أراد ابن الزِّبَعْرَى مغالطةَ النبيّ صلى الله عليه وءاله وسلم ليوهمَ قومَه أنه قد حَاجَّهُ، فأنزل الله عز وجل ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحُسنى** ﴾ يعني من المعبودينَ ﴿ **أولئكَ عنها مبعدونَ** ﴾ فقرأ النبي صلى الله عليه وءاله وسلم ذلك فضَجُّوا عندَ ذلك لئلا يتبينَ انقطاعُهُم وغَلَطُهُم فقالوا: " ءالهتنا خيرٌ أم هو " يعنون عيسى، فأنزل الله تعالى :﴿ **ولَمّا ضُربَ ابنُ مريمَ مثلاً إذا قومُك منه يصُدُّون** ﴾ إلى قوله﴿ **خَصِمُون** ﴾، وكلُّ ما ذكرناه من الآي أو لم نذكُرهُ أصلٌ وحجةٌ لنا في الكلامِ فيما نذكره من تفصيلٍ وإن لم تكن كلُّ مسألةٍ معينةً في الكتابِ والسنةِ. لأن ما حدَثَ تعيينُها من المسائلِ العقلياتِ في أيامِ النبي صلى الله عليه وءاله وسلم والصحابة قد تكلموا فيه على نحوِ ما ذكرناه .

والجواب الثالث : أن هذه المسائلَ التي سألوا عنها قد عَلِمها رسولُ الله صلى الله عليه وءاله وسلم و لم يجهَل منها شيئاً مفصَّلاً غيرَ أنها لم تحدُث في أيامِهِ معينةً فيتكلم فيها أو لا يتكلم فيها وإن كانت أصولُها موجودةً في القرءانِ والسنةِ وما حَدَثَ من شيءٍ فيما له تعلقٌ بالدينِ من جهةِ الشريعةِ فقد تكلَّموا فيهِ وبَحَثُوا عنه وناظروا فيه وجادَلوا وحاجّوا كمسائل العَول والجَدَّاتِ من مسائلِ الفرائضِ وغيرِ ذلك من الأحكامِ وكالحرامِ والبائنِ والبتةِ وحبلكِ على غاربكِ وكالمسائلِ في الحدودِ والطلاقِ مما يكثرُ ذِكرُها مما قد حَدَثَت في أيامِهم و لم يجيء في كلّ واحدَةٍ منها نصٌّ عن النبي صلى الله عليه وءاله وسلم لأنه لو نَصَّ على جميعِ ذلك ما اختلفُوا فيها، وما بقي الخلافُ إلى الآنَ.

وهذه المسائلُ وإن لم يكن في كل واحدة منها نصٌّ عن رسولِ الله صلى الله عليه وءاله وسلم فإنهم ردُّوها وقاسوها على ما فيه نصٌّ من كتابِ الله تعالى والسنةِ واجتهادِهم، فهذه أحكامُ حوادثِ الفروعِ ردّوها إلى أحكامِ الشريعةِ التي هي فروعٌ لا تُدرَكُ أحكامُها إلا من جهةِ السَّمعِ والرُّسُلِ، فأما حوادث تحدُثُ في الأصولِ في تعيينِ مسائلَ فينبغي لكلِ عاقلٍ مسلمٍ أن يَرُدَّ حكمَها إلى جملةِ الأصولِ المتفقِ عليها بالعقلِ والحِسّ والبديهةِ وغيرِ ذلك، لأن حكمَ مسائلِ الشرعِ التي طريقُها السمعُ أن تكونَ مردودةً إلى أصولِ الشرعِ الذي طريقُه السمعُ، وحكمُ مسائل

العقلياتِ والمحسوساتِ أن يُرَدَّ كلُّ شيءٍ من ذلكَ إلى بابه ولا يَخلِطَ العقلياتِ بالسمعياتِ ولا السمعياتِ بالعقلياتِ، فلو حدَثَ في أيامِ النبي صلى الله عليه وءاله وسلم الكلامُ في خلقِ القرءانِ وفي الجُزءِ والطَّفرةِ بهذه الألفاظِ لتكلَّمَ فيه وبَيَّنَهُ كما بَيَّنَ سائرَ ما حَدَثَ في أيامِهِ من تعيينِ المسائلِ وتَكَلَّمَ فيها .

ثم يقال : النبيُّ صلى الله عليه وءاله وسلم لم يصحَّ عنه حديثٌ في أن القرءانَ غيرُ مخلوقٍ أو هو مخلوقٌ، فلِمَ قُلتم : إنه غيرُ مخلوقٍ ؟

فإن قالوا : قد قالَهُ بعضُ الصحابةِ وبعضُ التابعينَ، قيلَ لهم : يلزَمُ الصحابي والتابعي مثلُ ما يلزَمُكُم من أن يكونَ مبتدِعًا ضَالاً إذ قالَ ما لم يَقُلهُ الرسولُ صلى الله عليه وءاله وسلم .

فإن قالَ قائلٌ : فأنا أتوقفُ في ذلكَ فلا أقولُ : مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوقٍ، قيلَ له : فأنتَ في توقُفِكَ في ذلك مبتدعٌ ضالٌ، لأنَّ النبيَ صلى الله عليه وءاله وسلم لم يقل : إن حدثت هذه الحادثةُ بَعدِي توقَّفوا فيها ولا تقولُوا فيها شيئاً، ولا قال : ضَلِّلوا وكفِّروا من قالَ بخلقِهِ أو مَن قال بنفيِ خَلقِهِ .

وخَبِّرونا لو قالَ قائلٌ إنَّ عِلمَ اللهِ مخلوقٌ أكنتُم تتوقفونَ فيهِ أم لا؟ فإن قالوا : لا، قيلَ لهم : لم يَقُلِ النبيُّ صلى الله عليه وءاله وسلم ولا أصحابُه في ذلكَ شيئاً، وكذلَك لو قالَ قائِلٌ : هذا ربُّكم شبعانٌ أو ريانٌ

أو مُكتَسٍ أو عَريانٌ أو مَقرورٌ أو صَفراويٌّ أو مَرطُوبٌ أو جِسمٌ أو عَـرَضٌ أو يَشُمُّ الريحَ أو لا يَشُمُّها أو هل له أنفٌ وقَلبٌ وكَبِدٌ وطِحالٌ وهل يَحُجُّ في كلِّ سَنَةٍ، وهل يركَبُ الخيـلَ أو لا يَركَبُهـا، وهـل يَغتَـمُّ أم لا ؟ ونحـوَ ذلك من المسائلِ، لكانَ ينبغي أن تَسكُتَ عنه، لأنَّ رسـولَ ا للهِ صلـى ا للهُ عليه وءاله وسلم لم يَتَكَلَّـم في شـيءٍ مـن ذلـكَ ولا أصحابُـه، أو كنـتَ لا تَسكُتُ، فكنتَ تُبيِّن بكلامِـكَ أنَّ شيئاً مـن ذلـكَ لا يجـوزُ علـى ا للهِ عـزَّ وجلَّ وتقدَّس كذا وكذا بحجةِ كذا وكذا

فإن قالَ قائِلٌ : أَسكُتُ عنه ولا أجيبُهُ بشيءٍ أو أهجُرُهُ أو أقومُ عنه أو لا أسلِّمُ عليهِ أو لا أَعودُهُ إذا مَرِضَ أو لا أشهَدُ جنازَتَـهُ إذا مَـاتَ، قيـل له : فيلزَمُكَ أن تكونَ في جميعِ هذه الصيغِ التي ذكرتَها مبتدعـاً ضـالاً، لأن رسول ا لله صلى ا لله عليه وءاله وسلَّم لم يَقُل : مـن سَـأَلَ عـن شـيءٍ مـن ذلكَ فاسكُتُوا عنه، ولا قـال : لا تُسَلِّـموا عليـه ولا قومـوا عنـه، ولا قـال شيئاً من ذلك فأنتم مبتدِعَةٌ إذا فعلتُم ذلكَ، ولِمَ لَمْ تسكُتوا عمّن قالَ بخلـقِ القرءانِ ولِمَ كفَّرتُموه ولم يَرِد عن النبيِ صلى ا لله عليه وءاله وسلم حديـثٌ صحيحٌ في نفيِ خلقِهِ وتكفيرِ من قال بخلقِهِ .

فإن قالوا : لأنَّ أحمدَ بنَ حَنبَـلٍ رضـي ا لله عنـه قـال بنفـيِ خلقِـهِ وتكفيرِ من قال بخلقِهِ، قيل لهم : وَلِمَ لَمْ يَسكُت أحمدُ عن ذلكَ بـل تكلَّـمَ فيه ؟

فإن قالوا : لأن العباس العنبري ووكيعاً وعبدَ الرحمٰنِ بنَ مَهدِي وفلاناً وفلاناً قالوا إنه غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ بأنه مخلوقٌ فهو كافرٌ .

قيل لهم : ولِمَ لَمْ يسكت أولئكَ عما سَكتَ عنه صلى الله عليه وءاله وسلم فإن قالوا : لأن عمرو بن دينارٍ وسفيانَ بن عُيَيْنَة وجعفرَ بنَ محمدٍ رضي الله عنهم وفلانًا وفلانًا قالوا : ليسَ بخالقٍ ولا مخلوقٍ .

قيل لهم : ولِمَ لَم يسكت أولئكَ عن هذه المقالةِ، ولَم يَقُلها رسولُ الله صلى الله عليه وءاله وسلم ؟

فإن أحالوا ذلك على الصحابةِ أو جماعةٍ منهم كان ذلك مكابَرةً، فإنه يقالُ لهم : فَلِمَ لَم يسكتوا عن ذلك، ولم يتكلم فيه النبيُ صلى الله عليه وءاله وسلم، ولا قال : كفِّروا قائلَه، وإن قالوا : لا بدَّ للعلماء من الكلامِ في الحادِثَةِ لِيَعلَمَ الجاهلُ حكمَها، قيلَ لهم : هذا الذي أردناهُ منكُم، فلِمَ مَنَعتُم الكلاَمَ، فأنتم إن شئتُم تكلَّمتُم حتى إذا انقطعتُم قلتُم : نُهينا عن الكلام، وإن شئتُم قَلَّدتُم من كانَ قبلَكُم بلا حُجّةٍ ولا بيانٍ، وهذه شهوةٌ وتَحَكُّمٌ .

ثم يقالُ لَهُم : فالنبيُّ صلى الله عليه وءاله وسلم لم يتكلَّم في النُّذورِ والوصايا ولا في العِتقِ ولا في حِسَابِ المُناسَخَاتِ، ولا صَنَّفَ فيها كتاباً كما صَنَعَهُ مالكٌ والثوريُّ والشافعيُ وأبو حنيفةَ، فيلزَمُكُم أن يكونوا

مبتدعةً ضُلاّلاً إذ فَعَلُوا ما لم يَفعَلهُ النبيُّ صلى الله عليه وءاله وسلم، وقالوا ما لَم يَقُلهُ نصاً بعينِهِ، وصَنَّفُوا ما لم يُصَنِّفهُ النبيُّ صلى الله عليه وءاله وسلم، وقالوا بتكفيرِ القائلينَ بخلقِ القرءانِ ولم يَقُلهُ النبيُّ صلى الله عليه وءاله وسلم.

وفيما ذكرنا كفايةٌ لكلِّ عاقلٍ غيرِ معاندٍ.

نَجزَ والحمدُ للهِ